نهائيات سينمائية بمراكش وأشياء أخرى:

«الببغاء الأحمر» الألماني يقهر «بوبي» الأمريكي والمغاربة يخرجون من مهرجانهم حيارى و«صفر اليدين»!

مصطفى غلمان *

■ صدق نصف الحدس أو ثلثه وأنا أتهيأ لاستقبال نتائج المسابقة الكبرى التي أدخلت الأفلام الأربعة عشر في لائحة التباري على السعفات الأربع ضمن جوائز المهرجان الدولي للفيلم بمراكش. فقد حصل الفيلم الكندي«يوم أحد بكيكالي» لمخرجه روبير فافرو على جائزة أحسن دور نسائي والتي تقمصته الممثلة فاتوندي، ذات الأصول الإفريقية. في حين عاد الدور الرجالي للممثل الروماني بول إباط عن فيلم «هيرتيافا في ألباسترا» للمخرج رادو مونطيان.

مفاجأة الدورة السادسة حملتها رياح التغيير بألمانيا الاتحادية، حيث قصة حب ومراهقة، تنتهي ببطل في العشرينيات من العمر إلى الانخراط في عوالم التحرر داخل ملهى يحمل اسما غرائبيا، هو عنوان الفيلم ذاته«الببغاء الأحمر». هذا الأخير حصل على جائزتين، الأولى للجنة التحكيم، والأخرى الجائزة الكبرى للمهرجان.

حقيقة، كانت لجنة التحكيم متوثرة إلى أبعد حد، ولم تخف انشقاق بعض عناصرها في تفويت الجائزتين الأخيرتين لفيلم لم يرق في مجمله إلى مستوى بعض أقرانه من الأفلام المعروضة، مثل الفيلم المغربي«ياله من عالم جميل» للمخرج الواعد فوزي بنسعيدي و«بوبي» للمخرج الأمريكي إيمليو إستيبان والفيلم الكوميدي«أخي يتزوج» للسويسري جون ستيفان برون. ما كرس اتساع الهوة حتى في طريقة تقديم النتائج من قبل بعض عناصر اللجنة وأخص بالذكر الممثل الأسترالي دافيد وينهام والممثلة الإسبانية باز فيكا، أو حتى رئيسهما المخرج البولاندي رومان بولانسكي، الذي أسر إلى التلفزيون المغربي عند بوابة قصر المؤتمرات، حيث أقيم الحفل الختامي، قائلا:«إنها مهمة صعبة وشاقة، أن يجتمع كل أعضاء اللجنة على رأي واحد أو متقارب...!»

«ياله من عالم جميل» مقاربة سينمائية لتكنولوجيا الوسائط

نقلة نوعية تلك التي أدهشنا بفتنتها المخرج المغربي الواعد فوزي بنسعيدي من خلال فيلمه المتباري «ياله من عالم جميل». فبعد واقعيته المفرطة في فيلمه المتميز«ألف شهر» عام 2003 ، يعود بنسعيدي ليتشح فصولا من المغامرة، عبر يقظة فانتازية مليئة بالجرأة، سابرة للتجريب. تغيير أدركناه لأول وهلة وهو يستعمل بعض التفضيلات أو التنويعات في برمجة وإضافة العوامل الرقمية في الصورة السينمائية، حريصا وحارسا على تتبع لقطاتها لحظة بلحظة، دون كلل أو ملل.

قصة الفيلم التي لم تتجاوز المائة دقيقة، استطاع بنسعيدي من خلالها وعبر موسيقى متفاعلة صممها الخبيران جون جاك هارتز وفرنسوار وي، أن يضعنا أمام مأزق انفعالي مشوب بالكثير من الأسئلة اللامتناهية ، ليمرر أفكارا ذات أبعاد حداثية صميمة، يعرفنا من خلالها بتحوله الاستراتيجي، من مجرد مخرج نزهة تقليداني، إلى مثابر كارزمي ، هو تحفته التي عبر بها العالم من ثقب وإفرازات وألغام..حيث طفولته نافذة لرؤية أفسح حسب تعبيره خلال ندوة صحفية.

القصة الفكاهية التي اندمج فيها الخيالي بالواقعي،في فضاءات تعكس رؤية المبدع السينمائية، والتي كانت فيها الوسائط التكنولوجية حاضرة بقوة، استطاع المخرج أن يتحمل القسط الأوفر من الحركة والاستغراق الزمكاني، اشتبكت الرموز، ولم تنكشف إلا عبر أجهزة التلقي المفارقة لمعاني الوجود، فانبرت أسئلة العالم الآخر الذي يتوجس منه بنسعيدي خيفة أن يطاله وميض الموت ويشنقه حذر البلاء!

في عالمه الجميل يقف بنسعيدي صامتا صنميا، عاشقا خرافيا، وقاتلا محترفا، يتصيد الهدايا عبر الأنترنيت، منظما آفاقه التهويمية في فسح من الضجيج المبعثر، مؤمنا بتبعات ليس لها هوية أو مرجع معين، كأنما يردد مع مارك توين في إحدى قصصه الخرافية«إن كل هبات وعطايا العالم ليست سوى هزؤ وأكاذيب زائلة مضللة وخادعة للجميع!!»

«انهض يامغرب»: النداء الأيديولوجي الباهت أو بلاتير شبحا كرويا مخيفا!

على عكس ما كان متوقعا، أخفقت المخرجة المغربية نرجس الرغاي، صاحبة الفيلم الأمثولة السابقة «عيون جافة» إنتاج 2003، أخفقت في تمرير خطاب فيلمي بسيط للغاية، وهي تكشف القناع عن إحدى الغرائز الوطنية الأكثر حضوة لدى المغاربة«كرة القدم» والحلم المزعج الذي طالهم طيلة جيل بأكمله، من أجل تنظيم نهائيات كأس العالم!

نرجس الرغاي كاتبة السيناريو مع الإخراج طبعا لفيلم لم يكن في مستوى المسابقة الرسمية، فككت بؤرا اجتماعية عنيفة بعواطف إنسانية متناقضة ومهتزة، في فضاء منغلق داخل جزيرة لاتمثل سوى نفسها، من حيث تكوينها وغموضها ، أربكت المشاهدين، الذين توافدوا بكثرة لمتابعة شريط كان يقال عنه في الكواليس إنه خرج من عين الإبرة، محتجا، وبأيديولوجية لاتخلو من نقد لرد الاعتبار!

فيلم لايحمل إلا الاسم، لا هو قصة ولا وثيقة، تكلفت صاحبته عناء جبارا من أجل تحديد هويته دون جدوى، اللهم إلا من كمائن وصور مرقعة، أفضت إلى اللعب على حبل التباكي، على ملف خاسر بالجملة منذ الوهلة الأولى من تقديمه للمحفل الدولي. نصبت المخرجة نفسها حكما على الثغرات البارزة في الملف إياه، محرضة على الحلم دون هوادة.

والغريب العجيب أن يكون لدور العرافات والمنجمين يد في موضوع مستهلك وهامشي، بالنظر للمشاكل العويصة التي يعيشها المواطن المغربي يوميا!

الموضوعة أو التيمة السينمائية التي تحمل شارة وطنية غالبا ما تخفق في إبراز عناصر نجاحها، خصوصا إذا كان يتعلق الأمر بقضية تعمق فيها الخلاف لدرجة الجدل، وضاعت فيها الأموال والأوقات، دون تحقيق أي هدف، سوى الجناية والتوتر الشعبي!

إيمان جنباري وتاج محل وباتريس لوكونت آخر الأصدقاء الأعزاء

على إيقاع مطري دافئ، وفي ليل مراكشي تعطلت فيه أنفاس هواة الفن السابع حد العطش، تدفقت أنهار من جماهير المدينة العتيقة على أبواب قصر المؤتمرات، حيث وفود الفنانين تنحدر في اتجاه كاميرات التلفزة والفضائيات، والتي نقلت بعض الانطباعات، عبر زفير مناخي باذخ. كانت القناة الأولى تنقل الحدث مباشرة وبطريقة تخلو من احترافية، فالمذيعان المنشطان فاطمة الإفريقي ومحمد البحيري كرسا وجها آخر، غير مألوف لطريقة التقديم التلفزي، والاختيارات المشتتة والمرتبكة ،غير منسجمة بتاتا مع الأضواء والسجاد الطويل،وبطء البديهة لديهما أشعر المتتبعين بأسف شديد، وبخاصة بعد فشل الممثلة منى فتو في تقديم فقرات المهرجان الافتتاحية والختامية رفقة الساحر الفرنسي المنقذ لوغان ويل.

أما السبيل الوحيد والمتبقي من كل شيء تلك البراءة التي حملتها نظيفة وساطعة مثل شمس جبل «أوكايمدن» الطفلة المغربية المعاقة إيمان جنباري (كريمة الصحفي محمد جنباري)، وهي تستقبل نجوم بوليود بورود عشقها الجنوني لتاج محل والهند قاطبة. وبلكنة هندية رائقة ومنسجمة وابتسامتها الأليفة تقدمت إيمان نحو بان نالين لتهديه باقة حب وتقدير

إضافة إلى رائعة أخرى من الحسنات المباحة، كان اختتام العروض السينمائية ليلة النهائيات الصادمة بفيلم فرنسي من الوزن الثقيل، «أعز صديق» للمخرج باتريس لوكونت، احتفاء فلسفيا بمعاني الصداقة كما يجسدها دانيال أوتاي، في ملحمة تنتصر للغنى الروحي، وتفتح نوافذ العالم على الإحساس بالحياة، دون سطو أو غلو. صور الفيلم الجميل وبرؤية سينمائية لافتة فعل البوح الاجتماعي والإرادة الذاتية في ملئ ثخوم وجود لامفكر فيه، وهو انتقاء استيهامي، يلح علينا جميعا، أن نكون رغما عنا، قابلين للتقارب، ناشدين طعم الإنسانية ، مرددين معا لصداقة حقيقية وجوهرية...

* إعلامي وشاعر من المغرب

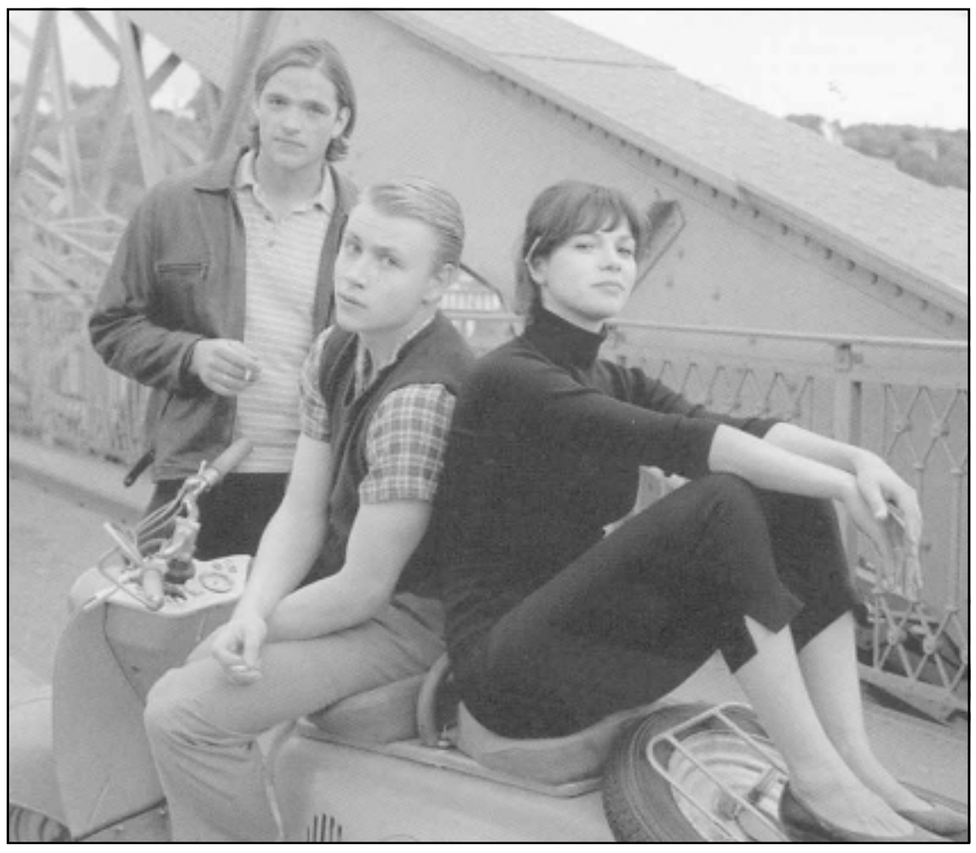

لقطة من فيلم «الببغاء الأحمر»

تمنى العمل مع يوسف شاهين منذ 18 عاما

خالد صالح: غير آسف على تأخر فرصتي في السينما.. و«عمارة يعقوبيان» أعادت لي الميزان المقلوب!

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من عمر صادق:

محطة جديدة يرسو عليها الفنان خالد صالح وهي بطولة جديدة في فيلم هي فوضى مع المخرج العالمي يوسف شاهين حيث يصور دوره في الصيف القادم.

خالد عانى من الظلم الشديد طوال الـ20 عاما الأخيرة برغم أنه بهر الجمهور بكل شخصياته التي قدمها في السينما ابتداء من فيلم «تيتو» مع النجم أحمد السقا وتأخرت فرصته في الظهور كنجم كبير محل اهتمام الناس والنقاد.

القضية من وجهة نظره لا تستحق كل هذا العناء كما يقول خالد صالح ويرى أنه ظهر في الوقت والمكان الصحيحين وأنه سعيد بنجوميته الحالية واشاد النقاد بكل أدواره ويرون فيه امتدادا للنجم الراحل عادل أدهم الذي جسد أدوار الشر بأداء ورقة.

■ برغم عرض فيلم «عمارة يعقوبيان» منذ 4 شهور تقريبا الا أن الجميع اتفقوا على أن شخصية كمال الفولي هي احدى الشخصيات المتنفذة وصاحبة الصولجان في المجتمع؟

■ أياً كان الرأي فأنا أحترم كل من يحاول الربط بين كمال الفولي وهذه الشخصية، فأنا لا أؤرخ لها ولكن أرصد الفساد الذي ضرب المجتمع في مقتل، وهذا ما يعنيني بالدرجة الأولى.

■ قلت مرة أن «عمارة يعقوبيان» حققت لك معادلة كنت تتمناها من زمان، ماذا تقصد؟

■ تحقق حلمي بالعمل مع نجوم كبيرة مثل نور الشريف وعادل امام وآخرين والوقوف أمامهم في مباراة تنافسية في الأداء وأرى أن هذا الفيلم تحديدا من أهم الأفلام المصرية التي انتجت في الفترة الأخيرة وتناوله لقضايا الفساد الذي استشرى بالمجتمع والحقيقة أنا لا أنكر سعادتي بالعمل في هذه التجربة الرائعة.

■ كثيرون يرون أن نجوميتك تأخرت كثيرا جدا خاصة أنك موجود بالساحة منذ 20 عاما؟ ألم تشعر بحزن لضياع هذه السنين؟

■ لم أشعر بالحزن، وتأخر نجوميتي لا يقلقني وأتعامل معها من منطق «رب ضارة نافعة» فربما حدثت النجومية في أيامي الأولى وحققت نجاحات ساحقة في حينها ثم أدارت لي الأيام ظهرها وخلعت رداء التألق وأصبحت حاليا في الظل، أنا سعيد لأن النجومية جاءتني متأخرة ولست نادما على شيء.

■ أداؤك لأدوار النجم الراحل عادل أدهم، هل تراه يسجنك في أدوار الشر؟

■ تشبيهي بالنجم الراحل شرف كبير لأنه مدرسة مختلفة ومتنوعة في الأداء ويسعدني على كل الأحوال، ولكنني لست مثله فهو مدرسة وأحاول أن أبدأ من حيث انتهى وأدواره لا يمكن لأحد غيره أن يكررها لأنها بصمة لا يمحوها أحد.

■ انتظرت العمل مع يوسف شاهين 18 عاما، هل لو جاءتك الفرصة وقتها كانت مسيرتك تغيرت وبخاصة في السينما؟

■ كثيرا سألت نفسي هذا السؤال وتوصلت في النهاية الى أن المرحلة الحالية أفضل بكثير هذا اقتناعي الشخصي، المهم أن الفرصة جاءت وأنا سعيد بها بصرف النظر عما أنها كانت تأتيني مبكرا، المهم انها حدثت وعلينا ألا ننتظر الى اللبن المسكوب ودعنا نفكر في القادم.

■ بمناسبة القادم، ما هو دورك في الفيلم؟

■ أجسد شخصية أمين شرطة في الفيلم ونرصد أوضاع تحدث داخل المجتمع.

■ برغم عملك في الوسط الفني منذ سنوات طويلة لماذا ظهر تألقك مؤخرا وفرضت نفسك على الساحة؟

■ لأنني أتعامل مع شخصياتي بمنطقية وصدق وأضع نفسي دائما في خانة هذه الشخصيات وأتحاور معها باستمرار لأعرف مفاتيحها وأعيش فيها منذ استلامي السيناريو الخاص بالدور، وعلى رأي المثل «الصدق أسهل طريق للاقناع» وبالمناسبة أنا أتعامل مع كل شخصياتي بهذا المثل أحاول أن أكون صادقا بدرجة كافية حتى تخرج مني الى قلب الجمهور ويتفاعل بها مباشرة.

■ قلت مرة أن أدوارك «أمانة» في عنقك، ماذا تقصد بالأمانة؟

■ أمانة أريد توصيلها للمشاهد، فهناك من يتعامل مع أدواره بمنطق الاستسهال وأنا أرفض ذلك وأراها أمانة ولابد من ردها للجمهور.

■ كثير من الشباب يغازلون النجومية منذ العمل الأول، فكيف لك الصبر مدة 20 عاما في الظل؟

■ لو قدمت عملا وفشل لندمت أشد الندم، وأنا صبرت طويلا وجاء الحصاد من وجهة نظري مثمرا وانا راض عنه، ومن الممكن أن أفشل خلال هذه السنوات وألوم نفسي اذا ما حدث ذلك، أما الشباب الذي يسعى للنجومية من العمل الأول فهذا شأنهم وكل فنان أدرى بموهبته وامكانياته، أما أنا على وجه الخصوص فلست متبرما ولا مهموما بنجومية قد تأتيني وتسقط عني في منتصف الطريق فأنا سعيد باجماع الجميع على أنني فنان أعرف كيف أختار وأجسد أدواري بدليل هذا الكم من الثناء والمدح الذي أشهده في كل عمل.

■ بعد رحلة التألق الأخيرة، كيف تنتظر للعالمية؟

■ أرفض العالمية ولا أريدها طالما أن الدولة التي تشتهر بصناعة السينما العالمية يعتدون علينا ليل نهار في لبنان والعراق وفلسطين وغيرها، لو طلبوني فلن ألبي دعواهم، وما حققته داخل بلدي أهم عندي من عالميتهم ومن سمعتهم السيئة.

الفنان خالد صالح

ضمن عروض مهرجان دبي السينمائي الدولي!

«كابول إكسبرس» يسلط الضوء على معاناة أفغانستان

دبي ـ احمد جمال المجايدة:

في إطار برنامج سينما شبه القارة الهندية يعرض مهرجان دبي السينمائي الدولي الثالث فيلم «كابول إكسبرس»؛ أول فيلم روائي يتم تصويره بالكامل في أفغانستان بعد سقوط حركة طالبان.

تدور أحداث الفيلم، الذي يقوم ببطولته نجم بوليوود (جون أبراهام)، ويلعب دور صحافي تلفزيوني من مومباي، و الممثل المشهور (أرشاد وارسي)، مساعداً له، حول قصة 4 أشخاص، هنديان وأفغاني وأمريكية يتعرضان للخطف من قبل مقاتل باكستاني من حركة طالبان. يجمع القدر بين هذه الشخصيات في رحلة عذاب إلى الحدود الباكستانية. وخلال الطريق تتوطد العلاقة فيما بينهم، ويبدؤون بالاعتماد على بعضهم من أجل البقاء ومواجهة الظروف القاسية لهذه الرحلة.

وقد استغرق تصوير الفيلم 45 يوماً في بلد تعصف به الحروب، بينما تعرض طاقم الفيلم لتهديدات بالقتل، مما دفع الحكومة الأفغانية لتأمين حراسة أمنية مشددة لهم.

شكلت خبرات ومعرفة المخرج (كبير خان) بأفغانستان قاعدة أساسية لنجاح الفيلم، حيث أخرج خان الكثير من الأفلام الوثائقية حول أفغانستان، التقى من خلالها مع عناصر من حركة طالبان. وحول سبب تصوير الفيلم في أفغانستان، بالرغم من المخاطر التي يمكن أن تحيط بطاقم الفيلم، يقول خان «كنت مقتنعاً تماماً أن «كابول إكسبرس« لا يمكن تصويره إلا في أفغانستان، التي لم تكن مجرد موقع للتصوير، وبقدر ما كانت إحدى الشخصيات الرئيسية في الفيلم».

فضائيات

حسنين هيكل في الجزيرة.. نشر الاحباط وتعميم التيئيس

عبد السلام بنعيسي*

■ لا فائدة من التضحيات التي تقدمها المقاومة العراقية في مواجهتها لقوات الغزو والاحتلال الأمريكية. الحديث عن انجازات نضالية تتراكم في العراق مما قد يؤدي الى هزيمة للمشروع الأمريكي في بلاد الرافدين أمر غير وارد. لعل هذه هي الخلاصة التي خرج بها المشاهد للحوار الذي أجراه الصحافي محمد كريشان مع المفكر حسنين هيكل في برنامج «مع هيكل» الذي تقدمه قناة الجزيرة مساء كل يوم خميس. فبالنسبة لضيف البرنامج، «الهزيمة تقتضي تغييرا في السياسات واسع المدى، واذا كنا أمام فشل، فالفشل يقتضي العودة الى نفس الأهداف ولكن بأساليب أخرى، وهذا ما أراه أمامي».

لنتجاوز مبدأ المقارنة بين تقدير الأستاذ هيكل لما يجري في العراق وتقدير زبغنيو بريجينسكي مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر والذي شبه الحرب على العراق بحرب 56، الأولى أنهت الهيمنة البريطانية الفرنسية على المنطقة، وهذه ستنهي الهيمنة الأمريكية، وما قاله كوفي عنان عن كون أمريكا عالقة في الحبل العراقي، ولنركز في كلام هيكل، على الجانب الاعلامي الذي تعنى به هذه الزاوية، «فضائيات وأرضيات»، ولنناقشه فيما قاله بهذا الخصوص.

لقد اعتبر ضيف البرنامج أن أمريكا سوف لن تقبل بتكبد الهزيمة في العراق ولن تقر بها، وسرد عدة معطيات تسند قوله، وفي هذا السياق قارن بين ما جرى في الفيتنام سابقا، وما يجري حاليا في العراق، وخلص الى القول: «لو أنا أسألك عن الحرب الفيتنامية تقول لي أكثر صورة أثرت فيك، وهنا الصورة تحدد المشاهد وتحدد الواقع، صورة البنت اللي أصيبت واللي ماشية في الشارع بتصرخ.. الفيتناميون عرفوا يعرضوا صورة انسانية أما احنا فعرضنا جثثا مذبوحة ودما سايحا الى آخره..».

لا نعلم لماذا يتكلم حسنين هيكل بلغة تتضمن قدرا كبيرا من جلد الذات وسلخها لأسباب ليست من مسؤولية العرب، فعندما يتحدث عن أننا نعرض صورا لجثث مذبوحة «ودم سايح» في العراق، فانه يقفز على حقيقة أن العراق كان قبل الاحتلال بلدا آمنا ومستقرا، ولم تكن فيه «جثث مذبوحة ودم سايح»، فهذه الصور البشعة الوافدة من العراق والتي تطالعنا بها الفضائيات، لم نتعود على مشاهدتها وتناولها مع وجباتنا الغذائية في كل الأوقات الا حين وقع العراق تحت سيطرة المحتلين، فالأمريكان هم الذين أتوا معهم الى العراق بالذبح والجثث المرمية في صناديق القمامة وفي الأزقة والشوارع وعلى سطح دجلة والفرات.

الاحتلال مزق النسيج الاجتماعي للعراق، وزكى ثقافة الحقد والثأر، ونفذ مشاريع فيدرالية في البلد، وأطلق العنان لمارد الطائفية، وحرض عليها، فتحول القتل على الهوية الى ممارسة يومية ترتكب بموافقة المحتل ورعاية الحكومة التي نصبها. لم تكن في العراق لا ميليشيات ولا فرق الموت، ولقد ظهرت الميليشيات وفرق الموت وأصبحنا نسمع بها ونقرأ عنها بعد تدمير الدولة العراقية والقضاء على جميع مؤسساتها، وانشاء مؤسسات بديلة عنها تشتغل بالمواصفات التي وضعها المحتل. وبالموازاة مع ذلك نشطت صناعة اعلامية تعمل على ابراز صور القتل والذبح والتفجيرات التي يذهب ضحيتها الأبرياء، بهدف اختزال ما يقع في العراق في كونه «ارهابا» تقوم به جماعات تكفيرية، والغاية النهائية هي تبرئة المحتل من جرائمه، ومحاصرة الفعل المقاوم الذي يستهدف قوات الاحتلال دون المواطنين الأبرياء، ويريد طردها من العراق.

بهدف تشويه الفعل المقاوم ونفيه، تحرص القوات الأمريكية الموجودة في العراق على أن تُصدر لنا منه صور القتل والذبح، وأن تنسبها الى جماعات مجهولة في محاولة للتبرؤ من الجرائم التي تنفذها قوات الاحتلال أو الميليشيات المتواطئة معها، والصاقها بالمقاومة العراقية، وللأسف فان الصحافي الكبير محمد حسنين هيكل وقع بدوره ضحية الماكينة الاعلامية الأمريكية، وانطلق في ترديد نفس الأسطوانة، ووضع المسؤولية فيما يقع في العراق من ذبح وتقتيل علينا «نحن». وكأن القوات الأمريكية بريئة تماما مما يجري من مذابح ومجازر في بلاد الرافدين، ولا صلة لها بها بأي شكل من الأشكال.

الغازي والمعتدي والواقف وراء جميع المآسي في العراق والذي هو في هذه الحالة القوات الأمريكية، يحوله هيكل الى بريء من تلك المآسي، وربما مظلوم من جراء وقوعها، بينما الذي تقع عليه المظالم يصبح هو الجاني والمسؤول عن جرائم الأمريكيين التي يرتكبونها في حقه. بدل أن تحسب المذابح والمجازر التي تحدث في العراق على الغزاة الأمريكيين، يحسبها ضيف البرنامج على الضحايا العراقيين، تماما كما يردد ذلك الاعلام الأمريكي.

يعتبر الأستاذ هيكل أن الفيتناميين أجادوا في عرض صورة انسانية لمقاومتهم، ويقدم كدليل على صحة قوله «صورة البنت اللي أصيبت واللي ماشية في الشارع بتصرخ»، ويشير الى أن هذه الصورة ومثيلات لها عن وحشية التدخل الأمريكي في الفيتنام هي التي ساهمت، رفقة عوامل أخرى، في هزيمة الجيش الأمريكي هناك. والحال أن الأمر ليس على هذا النحو، فصور الفظاعات التي قامت بها القوات الأمريكية في الفيتنام لعبت دورا ثانويا في حسم نتيجة الحرب. لم يبدأ الاعلام الأمريكي في التركيز على هذه الصور الصادمة للرأي العام الأمريكي وابرازها والتأكيد عليها الا بعد أن تيقن أن جيشه أصبح ميدانيا في وضع المهزوم، وأنه عاجز عن حسم الحرب لصالحه، ساعتها شرعت وسائل الاعلام الأمريكية في توجيه النقد للسياسيين الأمريكيين الذين ورطوا بلدهم في المستنقع الفيتنامي، وانهمكت في حث المواطن الأمريكي على رفض الاستمرار في هذه الحرب، والتظاهر من أجل وقفها.

لقد تأكد للمسؤولين الأمريكيين سواء العسكريين منهم أو السياسيين أن الحرب يستحيل كسبها في الفيتنام، فانطلق الاعلام الأمريكي في رفع الغطاء عن كل الجرائم التي كانت ترتكبها القوات الأمريكية في هذا البلد، فلقد كانت وظيفة الاعلام، تأسيسا على ذلك، بمثابة اعداد للرأي العام الأمريكي لقبول نتيجة الهزيمة في فيتنام، ومن ثم بات من الضروري تسليط الضوء على عبثية قرار الدخول في الحرب، والانتهاكات التي تصاحبها ضد الانسان الفيتنامي.

فلو أن مسار المعركة أخذ الوجهة التي كان يحلم بها القادة العسكريون الأمريكيون، لما عاينا الضغط الاعلامي الأمريكي من أجل وقف هذه الحرب، ولما شاهدنا «صورة البنت التي أصيبت واللي ماشية في الشارع بتصرخ»، وحتى لو كنا قد شاهدنا هذه الصورة، لكنا ربما قد نسيناها، ولما أعطيناها الأهمية التي نعطيها لها الآن، ولما احتلت في الذاكرة الجمعية الانسانية المكانة التي تحتلها حاليا. لقد نقشت تلك الصورة في ذاكرة الجمهور، لأنه وقع الالحاح عليها، حين أصبحت حاجة لدى الأمريكيين للاستشهاد بها من أجل اخفاء الهزيمة العسكرية التي لحقت بهم في الميدان، بدعوى أن ضغط الرأي العام الأمريكي بسبب اعلامه، هو الذي أدى الى وقف الحرب، وعدم تحقيق النصر فيها.

انها صورة فعلا مؤثرة، ولكن أين هي من صورة الطفل محمد الدرة ومشهد الجنود الاسرائيليين يطلقون عليه الرصاص وهو محتم بوالده الذي كان يحاول عبثا أن يحمي فلذة كبده براحتيه من نيران الرصاص؟ أين صورة البنت الفيتنامية، مما حدث للفتاة العراقية عبير ذات 16 ربيعا التي تم اغتصابها بشكل جماعي، وقتلها وأفراد أسرتها، واحراق جثثهم بعد صب البنزين فوقها، وأين نحن من صورة الشيخ الذي كان جريحا يحتضر وأطلق عليه جندي أمريكي الرصاص في قلب المسجد بمدينة الفلوجة، بدل اسعافه كما تستوجب ذلك القوانين المرعية والأعراف الانسانية؟ بل هل يتذكر سكان هذا العالم صور الأسرى العراقيين التي بُثت في جميع أنحاء العالم، وكانت زاخرة بحفلات الاغتصاب والتعذيب التي كان يمارسها الجنود الأمريكيون على هؤلاء الأسرى في سجن أبو غريب؟

الاعلام الأمريكي في مجمله أداة تشتغل في نطاق استراتيجية أمريكية شاملة، انه مملوك من طرف كبريات الشركات العالمية في مجال النفط والسلاح .. ويعبر عن رأي هذه الشركات وينفذ سياساتها، ومهما حاولنا نحن العرب مغازلة هذا الاعلام أو التصرف بالمعايير التي يحددها لنا، فانه سيختلق القصص والروايات لتشويه صورتنا، اذا ما رفضنا سياسة أمريكا الرامية الى بسط سيطرتها علينا، وقررنا التصدي لهذه السياسة ومقاومتها. واذا لم يجد الاعلام فضاء يلتقط فيه صورا لجثث محروقة ولرؤوس مقطوعة ليسيء الينا بواسطتها، فانه لا محالة سينشئ هذا الفضاء، وسيجهزه لالتقاط ما يريد من صور، ولنا فيما وقع في تيمشوارا الرومانية المثال الأوضح على ما نقول، فلقد تم اخراج الجثث من القبور، وكانت لأناس توفوا في ظروف طبيعية، وتم تصفيف تلك الجثث، ووقع تصويرها، وقدمت للرأي العام العالمي على أساس أنها جثث لضحايا مجزرة ارتكبها الرئيس الروماني الأسبق تشاوشيسكو الذي ألقي عليه القبض وأعدم في الحال.

من حق الأستاذ حسنين هيكل أن يمتنع عن بيع جمهوره الأوهام، ويتجنب الحديث أمامه عن هزيمة وشيكة سيمنى بها الأمريكيون في العراق.. ولكن نظرا للمكانة التي يحتلها في نفوس قطاع واسع من الجمهور العربي وللوقع الذي تخلفه كلماته، فان من حق المقاومة العراقية عليه أن لا يبخسها حقها، فلأن هذه المقاومة محاصرة من جميع الجهات، ولأنها تتعرض للطعن في الظهر من طرف الأنظمة العربية الحاكمة، ومن طرف دول الجوار، فان الواجب القومي يفرض على الأستاذ هيكل أن يقدم ولو مجرد اشارة ايجابية تجاهها، وكلمة طيبة في حقها تنصفها من أعدائها والمتربصين بها في الداخل وفي الخارج.

لا يمكن لهيكل أن ينكر أن المقاومة العراقية كبدت القوات الأمريكية بامكانيات بسيطة خسائر فادحة في الأرواح وفي العتاد، وأنها فاجأت المحتل وأفشلت المشروع الأمريكي في بلاد الرافدين، وتحول العراق الى مستنقع غرقت في أوحاله أمريكا، وأصبح خروجها منه يعني اقرارا بالهزيمة، وان بقاءها فيه استمرار في خوض حرب استنزاف لطاقاتها، حرب ليس هناك ما يؤشر على أن أمريكا ستكسبها في المستقبل.. مفكر قومي كبير في حجم هيكل، وفي قناة مثل الجزيرة، من غير المسموح له بأن يتحدث عن الوضع في العراق وعن المقاومة العراقية، بلغة الاعلام الرسمي العربي الذي ينشر الاحباط ويعمم التيئيس، أو يتحدث عنها بلغة وفيق السامرائي مستشار جلال طالباني والطائفي حتى النخاع موفق الربيعي.

* صحافي من المغرب
benaissi_2@yahoo.fr

وارضيات